أهمية مؤسسة التربية والتعليم

المناسبة: يوم المعلم في إيران

المكان: طهران ـ حسينية الإمام الخميني (ره)

الحضور: حشود من المعلمين من مختلف أنحاء البلاد

الزمان: ١٣٩٤/٢/١٦ش. ١٤٣٦/٧/١٧هـ. ٢٠١٥/٠٥/٠٦م.

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أهلاً ومرحباً بكم كثيراً أعزائي، لقد عطرتم أجواء هذه الحسينية بأنفاسكم الطيبة. والحق أن أنفاس المعلم أنفاس طيبة، وأية أجواء يحضر فيها المعلمون يمكن للإنسان أن يثق بأن الرحمة والبركات الإلهية ستغمر تلك الأجواء إن شاء الله. نتمنى أن يوفقكم الله لتستطيعوا أنتم المعلمين وكذلك المسؤولين في التربية والتعليم أداء هذا العمل الكبير والمسؤولية العظيمة على أحسن وجه.

إنه شهر رجب، وفي هذا النشيد الجميل العميق المعاني الذي أنشدتموه إشارة إلى شهر رجب، شهر التوسل إلى الله والتوجه والدعاء له. عندما يدعوا المؤمنون في هذا الشهر الشريف يطلبون من الله تعالى ما يلي: «اَللهُمَّ فَاهدِني هُدَى المُهتَدينَ وارزُقني اجتِهادَ المُجتَهِدينَ ولا تَجعَلني مِنَ الغافِلينَ المُبعَدين» (٢). كم هي مهمة هذه الفقرات الثلاث! والفقرة الأخيرة المتعلقة بالمغفرة تمثل أساس كل الأعمال: «وَاغفِر لي يومَ الدّين» (٣). هداية المهتدين وسعي الساعين هو الشيء الذي تطلبونه من الله تعالى في هذا الدعاء. تأملوا ودققوا لو كان هذان العاملان فينا أنا وأنتم لتمّ حلّ كلّ المشكلات؛ يكون من نصيبنا هدى المهتدين بهداية الله، ويكون سعي واجتهاد المجتهدين في تاريخ البشرية محسوساً في سلوكنا وأقوالنا وطباعنا. في تلك الفقرة الثالثة هناك إشارة إلى الآفة: «وَلا تَجعَلني مِنَ الغافِلينَ المُبعَدين». الغفلة أكبر آفة، الغفلة عن المسار والغفلة عن الهدف، والغفلة عن القدرات، والغفلة عن الفرص، والغفلة عن العدو، والغفلة عن الواجب الملقى اليوم على عواتقنا أنا وأنتم؛ الغفلة. الغفلة أكبر أعدائنا. العدو الأول الذي يصرعنا أرضاً مقابل أعدائنا الآخرين هو الغفلة. «وَلا تَجعَلني مِنَ الغافِلينَ المُبعَدين». البعد هو نتيجة هذه الغفلة؛ البعد

عن الله والبعد عن الهدف والبعد عن النجاح والتمتع بالمواهب. مضامين الأدعية معرفة وتوحيد ودروس للحياة. لاحظوا هذه هي الأدعية؛ لنقرأ هذه الأدعية بهذا التوجه والتركيز ولننتفع من أجواء هذا الشهر.

لقد تمت تسمية أسبوع المعلم من وحي الذكرى المباركة لشهيدنا العزيز الجليل المرحوم آية الله الشيخ مرتضى مطهري. كان للشهيد مطهري الكثير من السمات الممتازة، ولكن أعتقد أن أبرز هذه السمات هي أنه كان معلماً؛ كان معلماً؛ كان معلماً في الحوزة، وكان معلماً في الجامعة، وكان معلماً في بيئته الحياتية العادية، وخطاباته ومحاضراته كانت أيضاً تعليماً ودروساً، ذلك لأنه كان مخلصاً ومجتهداً وساعياً. لقد شاهدتُ عن كثب نماذج من السعي العلمي لهذا الإنسان الكبير. كانت لديه رؤوس نقاط وملاحظات مكتوبة لكل موضوع، أين ما كان يلاحظ نقطة أو فكرة في أي مكان كان يسجلها على الفور ويدرجها في مكان معين. ولقد أراني المظروفات التي أودع فيها ملاحظاته ومذكراته حول الموضوعات المختلفة. وقد استغربت في حينها من صبره وأناته وحيويته ومتابعته وسعيه! والنتيجة هي أننا اليوم وبعد مضي ٣٥ عاماً على استشهاد هذا الرجل نجد كتبه وكلماته لا تزال حية فاعلة. نفس تلك الكتب والكلمات والتعاليم لا تزال إلى اليوم تنفع الجيل الشاب الحالي، وتنفع الباحثين أيضاً. طبعاً لا أروم القول إن هذه الكتب والتعاليم كافية، لا، فهناك آراء وطروحات وأفكار جديدة وشبهات غير مسبوقة يجب أن يكون هناك من يعمل لمعالجتها كما عمل الشهيد مطهري، بيد أن هذا الاسم اسم باق.

طيّب، معظم ما أروم ذكره اليوم عبارة عن جملة من النقاط حول التربية والتعليم. وهناك قضايا أخرى ربما تطرقنا لها هي الأخرى، لكن حديثنا الأصلي اليوم حول قضايا التربية والتعليم، وهي قضايا مهمة بالنسبة لي. والسبب هو أن التربية والتعليم تمثل في الواقع القطب الأساسي لصناعة العالم المستقبلي. لدينا على كل حال مستقبل، بعد عشرين سنة، أو بعد خمس وعشرين سنة، سيأتي جيل ويستلم زمام الأمور وهذا الجيل في الوقت الحاضر في طور النشوء والإعداد، والذي يعده هو المعلم والتربية والتعليم. أنتم تنتجون جيلاً، فكيف ستنتجونه؟ هذا شيء على جانب كبير من الأهمية. مستقبل بلادنا ومستقبل عالمنا رهن بمساعي التربية والتعليم في الوقت الحاضر، وهذا ليس بالشيء القليل. ليس لدينا جهاز أو مؤسسة أخرى لها هذه الدرجة من الأهمية. نعم، في الجامعة أيضاً يقومون

بالتدريس والدراسة، وفي الحوزة العلمية أيضاً يدرسون، وفي الأجواء الاجتماعية أيضاً يزاولون عملية التربية، بيد أن الدور المؤثر للمعلم فذّ ولا بديل له؛ الدور الذي يمكن للمعلم أن يتركه من حيث التأثير الفكري والروحي على متلقيه وهم أطفال اليوم ورجال المستقبل ونساؤه ـ منذ فترة الطفولة إلى مرحلة الحداثة إلى نهاية هذه الفترة المؤلفة من إثني عشر عاماً ـ لا نظير له ولا بديل؛ لا الأب ولا الأم ولا البيئة لهم مثل هذا الدور. هكذا هو المعلم، وهكذا هي مؤسسة التربية والتعليم. ومن حيث الارتباط والاحتكاك ببيئة حياة الناس تمتلك مؤسسة التربية والتعليم أوسع مديات الاحتكاك والارتباط بالمجتمع. لديكم قرابة ١٣ مليون طالب، ومع آبائهم وأمهاتهم ـ وعدد الآباء والأمهات سيكون ٢٦ مليوناً ـ سيكون أمامكم ٣٩ مليوناً، وهناك مليون من المعلمين وموظفي التربية والتعليم، فهذا تقريباً أربعون مليون إنسان على علاقة مباشرة بهذه المؤسسة، فأيّ جهاز أو مؤسسة أخرى تعرفونها لها مثل هذه المديات من الارتباط والاحتكاك المؤثر والمهم مع المجتمع؟ لهذا السبب نشدّد على التربية والتعليم كل هذا التشديد.

طيّب، أذكر كلمة حول هذه المؤسسة وهي ـ وقد قلتُ هذا مراراً (٤) وأكرره مرة أخرى ـ أننا مهما رصدنا من التكاليف والأموال لمثل هذه المؤسسة فلن تكون هذه تكاليف بل هي استثمارات؛ لننظر لاقتصاد التربية والتعليم بهذه النظرة. اقتصاد التربية والتعليم ليس مثل أي اقتصاد من اقتصادات المؤسسات والأجهزة الأخرى. مهما أنفقتم هنا إنما تستثمرون في حقيقة الأمر؛ هذه هي الجملة الأساسية والأصلية التي أتوقع أن يتنبه لها مسؤولو البلاد والمسؤولون الحكوميون وأبناء شعبنا. طيب، هذا عن أهمية مؤسسة التربية والتعليم.

ما هي النقطة المحورية في هذه المؤسسة الكبيرة، وما هي البؤرة المركزية، أو حامل الراية الذي يدير الساحة في واقع الأمر، وعلى الجميع أن يساعدوه؟ إنه المعلم. المدير الأصلي للساحة هو المعلم. الأجهزة المتنوعة والمؤسسات المختلفة والمواثيق المنوعة والكتب الدراسية وباقي الأمور والمرافق كلها دعامة لهذا الفارس الأساسي في وسط الساحة. المعلم الصالح هو الذي يكون تأثيره كما ذكرنا فذاً ولا بديل له. إذا كان لدينا معلمون صالحون، حتى في نظام مثل نظام الكتاتيب، سيستطيعون تربية وإعداد شخصيات كبيرة، وترون أنهم أعدوا مثل هذه الشخصيات الكبيرة. المعلم الصالح يمكنه تخريج رجال كبار، وشخصيات

كبيرة ممتازة، حتى داخل إطار جهاز قد لا يكون جهازاً فاعلاً ومناسباً جداً. إذن، الأساس في العملية هو المعلم.

حسناً، ما الذي يريد المعلم القيام به؟ لقد سجلتُ هنا إنه يروم تخريج جيل بهذه الخصوصيات: جيل عالم، ومؤمن ويمتاز بالثقة بالذات، ومتفائل وآمل، وذو حيوية ونشاط، ويمتع بالسلامة الجسمية والروحية، وذو بصيرة وإرادة، وقليلة المؤونة والتكاليف وكبير الفائدة. المعلم يريد إعداد جيل بهذا الشكل، وهذا ليس بالشيء القليل. حين يقال إن المعلم يقوم بعمل الأنبياء فهذه كلمة نقولها، ولكن لو خضنا في أعماق هذه الكلمة فسنتسائل: ما معنى هذه الكلمة؟ «يزَكيهِم ويعَلّمُهُمُ الكتبَ والحِكمَة» (٥). هذا هو عمل الأنبياء، مهمة الأنبياء هي إنقاذ البشرية، ووظيفة الأنبياء هي تحقيق مجتمع إنساني أرقى وأفضل. هذا هو عمل الأنبياء. نقول إن المعلم يعمل عمل الأنبياء، والتعليم عمل الأنبياء؛ هذا هو عمق هذه الكلمة ومغزاها؛ هذا هو المعلم.

طيب، هذه الحالة لها لوازمها. من لوازمها الجانب الاقتصادي الذي تحدثنا عنه. اقتصاد التربية والتعليم ومعيشة المعلمين من هذه اللوازم. إنني على علم بقيود ونواقص الأجهزة الحكومية، ولستُ غريباً على هذه النواقص والقيود والمشكلات الموجودة، ولكن ينبغي أن تنصبّ الهمم لدى المسؤولين الحكوميين على إيلاء هذا القطاع اهتماماً خاصاً. وكما قلنا فهذا استثمار وله عائداته ومردوداته وينتج قيمة مضافة، إنه ليس محض إنفاق وتكاليف. هذا شيء يجب أن يكون ضمن قضايانا البالغة الأهمية ومن الدرجة الأولى في الإدارة الحكومية والقرارات الحكومية. إذا لم نقم بهذا فسوف يستغل العدو الظروف، وأنتم ترون ذلك. انطلاقاً من هذه النقطة سيعمل العدو بوسائل إعلامه وإذاعاته وعملائه ومأموريه السيئي الطوية المخاصمين للنظام الإسلامي والإسلام، وبهذه الأدوات والوسائل، ويستغل الظروف. طبعاً المعلمون الإيرانيون واعون ويقظون وذوو نجابة وكرامة ومتدينون؛ هذا ما اعتقد به حقاً، وقد جرّبنا هذه الحقيقة طوال هذه الأعوام، ونراها اليوم أيضاً على مستوى البلاد، المعلمون الإيرانيون ليسوا غافلين عن مؤامرة العدو. الذين يرفعون شعاراً تحت عنوان المعيشة يرفقون إلى جانبه بضعة شعارات سياسية وفئوية ومثيرة للفتن، وأي شخص يمكن أن يدرك أن دوافع هؤلاء ليست نزيهة وليست مخلصة للمعلمين، ولديهم أهداف أخرى. كما أن الوسيلة الإعلامية الخارجية الفلانية عندما تبدأ عملها على هذه القضية ـ

وترون أنهم ينشطون الآن وقد بدأوا العمل قبل مدة ـ فليس هذا من منطلق إخلاصها، بل لأجل خلق المشاكل والمتاعب للنظام الإسلامي، وبدافع السوء والحقد تجاه الإسلام واستقلال البلاد واتجاه نظام الجمهورية الإسلامية. ولكن ينبغي بالتالي عدم توفير الذرائع لهؤلاء. على الأجهزة الحكومية والمسؤولين عن الشؤون المالية والاقتصادية التفطن لهذه النقطة، وجعلها ضمن برامجهم وخططهم الرئيسة. هذه نقطة. طبعاً كما قلنا ينبغي أن يكون المعلمون يقظين وهم يقظون. المعلمون الإيرانيون يقظون واعون والحمد لله. البعض يريدون مجافاة النظام الإسلامي والثورة الإسلامية، لذلك ينتهزون كل شيء بأيّ شكل من الأشكال لنفث سمومهم وإعلان خصامهم بسبب حقدهم على النظام الإسلامي وليس بدافع حبهم للمعلم، وإذا لم تتوفر لهم هذه الشعارات والذرائع لجأوا إلى غيرها لنفس الأغراض.

قضية أخرى هي قضية جامعة المعلمين، وهي قضية سبق أن أشرتُ لها في أحاديثي الخاصة مع الوزير المحترم، أو في كلماتي العامة لحشود المعلمين. جامعة المعلمين على جانب كبير من الأهمية. كل العمليات المؤدية إلى استقطاب المعلمين لأجل التدريس ولأجل التربية والتعليم يجب أن تكون سليمة نزيهة وتقاس بمعايير الإسلام والثورة. إذا قمنا بهذا فستكون النتيجة ما تريدونه وما يرضى عنه الله وشيئاً مجدياً مفيداً لمستقبل البلاد ـ كما ذكرنا ـ حيث ينتج جيلاً عظيماً متفائلاً إيجابياً. أما إذا لم تراع هذه الأمور فلا. في جامعة المعلمين، المواد الدراسية مهمة ومحتوى الدروس مهم والأساتذة مهمون والهيئة العلمية مهمة. أي إنسان من المقرر أن نخرجه ونعده ليتوجه إلى أبناء الناس فيقوم بتخريجهم وإعدادهم وتربيتهم؟ هذا شيء على جانب كبير من الأهمية. إذن، قضية المؤهلات والأساتذة والكتب الدراسية ومحتوى الدروس في الجامعة كلها قضايا مهمة.

مسألة مهمة أخرى هي مسألة التحول الجذري في التربية والتعليم التي أشار لها الوزير المحترم اليوم لحسن الحظ، وذكر على نحو الإجمال النشاطات التي تمت، وسبق أن اطلعتُ على تقرير ذلك. المهم هو أن الجميع اقتنعوا بأصل القضية وبأن نظام التربية والتعليم عندنا بحاجة إلى تحول جذري. نظام التربية والتعليم القديم في البلد حتى لو لم يكن فيه أي عيب أو نقص، فمجرد مضي الزمن وعدم دخول أية تغييرات وإبداعات وتجديدات عليه، يعدّ كافياً لرفضه وللاعتقاد بالتحول الجذري. ميثاق التحول هذا الذي تم لحسن الحظ إعداده قبل نحو سنتين أو ثلاث سنوات وتبليغه (٦) وتم التخطيط على

أساسه، اعتبره الخبراء الممتازون والمبرزون في التربية والتعليم ميثاقاً جيداً ووثيقة رصينة؛ فالخبراء والمتخصصون في هذا الشأن يؤيدون هذا الميثاق ويقولون إنه أعد بعد ساعات طويلة من العمل، وزمن متماد، ومساع حثيثة وبمساعدة الجميع، حيث أفضت تلك الجهود والحمد لله لإعداد هذا الميثاق وتبليغه بشكل يؤيده الخبراء والمتخصصون في شؤون التربية والتعليم ويشهدون أنه ميثاق جدّ مهم ومتقن. إذن، ينبغي تطبيق هذا الميثاق. وبالطبع ينبغي عدم توقع نتائج سريعة من مثل هذه المشاريع، فهي ليست بالأمور التي يمكن أن تظهر نتائجها خلال سنة أو سنتين أو خمس سنوات، بل هي أمور تحتاج إلى صبر وأناة وعمل مستمر.

ونقطة أخرى هي ضرورة المحافظة على تناسق هذا الميثاق. لقد أشاروا إلى أن بعض مواد هذا الميثاق تم تنفيذها، وهذا جيد، لكن يجب تنفيذ كل مواد هذا الميثاق، فهو يشكل منظومة منسجمة. أن نطبق بعض المواد، ولتكن أربعين مادة مثلاً أو بحدود هذا العدد، ونغفل عن باقي المواد، فلن نصل إلى النتيجة المرجوّة. ينبغي المحافظة على تناسق هذه المنظومة. عندما يجري العمل بكل مواد هذه المنظومة عندئذ سوف يتقدم العمل إلى الأمام وتزداد سرعته وتتم الأمور بصورة صحيحة.

نقطة أخرى هي ضرورة أن يتعرف عموم العاملين في التربية والتعليم في إيران على هذا الميثاق، وأن يعلموا ما هي مطالبات هذا الميثاق. المعلم الذي يدرّس في المرحلة الفلانية من الابتدائية أو الثانوية ليعلم ما الذي يريده منه ميثاق التحول الجذري. ويجب على المدير ومسؤول في المدرسة الابتدائية أو الثانوية أن يعلم ما هي واجباته حيال الطلاب على أساس هذا الميثاق. ينبغي تحديد مطالبات هذا الميثاق، ويجب البرمجة لمناقشة وإعلان وتفهيم المطالبات المدرجة في هذا الميثاق على مستوى واسع في التربية والتعليم.

مسألة أخرى هي أن الوسائل الإعلامية ومؤسسة الإذاعة والتلفزيون يجب أن تساعد في هذه العملية. بل يُقترح أحياناً تأسيس قناة خاصة في الإذاعة والتلفزيون لهذه القضية ليمكنها تبيين هذا الموضوع وتفهيمه. وهذا منوط طبعاً بأن يجتمع مسؤولو التربية والتعليم مع مسؤولي الإذاعة والتلفزيون ويتعاونوا في ما بينهم.

موضوع آخر يكتسب أهميته في قضية ميثاق التحول الجذري في نظام التربية والتعليم، وقد أشار له اليوم الوزير المحترم لحسن الحظ، هو الإمكانيات والفرص المتاحة في الخطة

التنموية الخمسية السادسة. سياسات الخطة السادسة يجري تدوينها في الوقت الحاضر، ثم يدونون الخطة نفسها ويصادقون عليها وينفذونها. يجب في إطار هذه الخطة ملاحظة قضية التربية والتعليم وميثاق التحول الجذري بكل تأكيد لنعلم ما الذي سيكون عندنا في سنة ١٤٠٤ [٢٠٢٥م] على صعيد التربية والتعليم.

ونقطة أساسية أقولها للمسؤولين في التربية والتعليم هي أن يحذروا من إحلال البرامج السهلة والتغييرات السطحية اليومية محل التحول الجذري، فهذه التغييرات السطحية يجب أن لا ترضينا ولا تقنعنا ولا تفرحنا فنقول إننا غيّرنا وحوّلنا. التغييرات السطحية ليست مهمة، إنما الأساس هو مواد ذلك التحول الجذري حيث يصار إلى تجديد هذا الصرح تدريجياً، هذا هو المهم.

والظروف مهيأة والحمد لله. حينما أنظر على مستوى البلاد يلوح لي أن ظروفكم اليوم وظروف مسؤولي التربية والتعليم المحترمين مواتية أكثر لتحول نوعي في التربية والتعليم ولتحول جذري أساسي في هذه المؤسسة المهمة الحساسة. ذات يوم كان لدينا ثمانية عشر مليون طالب، ولدينا اليوم أقل من ثلاثة عشر مليون من الطلاب، وهذه فرصة. ذات يوم كنا نعاني عسراً جدياً من حيث الأجواء والأماكن التعليمية، وكانت المدارس التي تعتمد دوامين أو ثلاث دوامات غير قليلة على مستوى البلاد، واليوم لا يوجد ذلك الوضع لحسن الحظ. وضع المدارس جيد في معظم مناطق البلاد، وهناك أفراد راغبون يعملون في هذا المجال وينبغي الحفاظ على هذا السياق. إذن، الظروف اليوم مواتية لنستطيع القيام بهذا التحول. على كل الحال البلد يتمتع والحمد لله باستقرار وأمن، والمسؤولون الحكوميون يعملون برغبة واندفاع. اليوم هو اليوم الذي نستطيع فيه إن شاء الله التوصل إلى محطة جيدة من الناحية النوعية ومن حيث المحتوى وبشكل جذري. وكما سبق أن ذكرتُ فإن المعلمين هم محور هذا التحول. الذين يقفون وسط هذه الساحة هم أنتم أيها المعلمون الأعزاء. إنني بهذه المناسبة أبعث السلام لكل المعلمين في كل أنحاء البلاد، وأسأل الله تعالى أن يحرس كافة المعلمين الأعزاء ويحفظهم.

وهناك نقطة خارج نطاق قضايا التربية والتعليم، تتعلق بشؤون البلاد السياسية الأساسية، وهي نوع تعامل الأعداء مع نظام الجمهورية الإسلامية. طوال هذه الأعوام الخمسة والثلاثين الماضية لفتت هيبة هذه الحركة الشعبية العظيمة أنظار أعداء الجمهورية الإسلامية دائماً.

أرعدوا أزبدوا كثيراً وعملوا ما استطاعوا لكن شعب إيران ونظام الجمهورية الإسلامية كان مهيوباً في أنظارهم، وعلينا الحفاظ على هذه الهيبة، ينبغي الحفاظ على هذه الهيبة، وهي شيء واقعي وليس وهماً. إننا بلد كبير وشعب من سبعين ونيف مليوناً وذو سوابق ثقافية وتاريخية عميقة وأصيلة تفوق ما للكثير من بلدان العالم، وبلد يتمتع بالشجاعة والعزيمة وشعب يدافع عن هويته وشخصيته. وأحد النماذج على ذلك تجلى في ثمانية أعوام من الدفاع المقدس. في هذه الأعوام الثمانية تعاضد كل الأقوياء في العالم ـ شرقاً وغرباً ـ والتابعين لهم والرجعيين والكل والكل لتركيع شعب إيران، لكنهم لم يستطيعوا. أليس من المناسب أن تكون لهذا الشعب هيبته وعظمته في أنظار العالم؟ ينبغي الحفاظ على هذه العظمة. إننا نظام يقول لنا المسؤولون السياسيون من مختلف البلدان والمطلعون، قالها لنا البعض ـ والبعض لم يرتضوا لأنفسهم بأن يقولوها لنا بل قالوها في أوساطهم الخاصة ووصلتنا أخبارها ـ بأن هذا الحظر الذي فرضوه على إيران وهذه الضغوط التي يمارسونها ضد الجمهورية الإسلامية، لو مارسوها ضد أي بلد آخر لدمروه وأسقطوه، لكن الجمهورية الإسلامية لم يستطيعوا حتى زحزحتها بمقدار قليل. ليس هذا بالشيء الهيّن، هذا حدث كبير جداً، وبالطبع فإن الإعلام العالمي يسدل دوماً ستاراً وحجباً وغباراً على أنظار المتلقين ليحول دون أن يبصر الكثيرون الواقع، ومع ذلك فإن الكثير من الناس في العالم والكثير من الشعوب وخصوصاً الشعوب القريبة منا ترى الحقائق، وكل المسؤولين السياسيين في العالم يرون الحقائق، فلا تنظروا إلى كلامهم وتصريحاتهم؛ نفس هؤلاء الرؤساء والمسؤولين السياسيين والناطقين الرسميين في مختلف البلدان الغربية والأوربية والأمريكية وغيرهم يطلقون أحياناً كلاماً لا معنى له، وكلهم يؤمنون في قلوبهم بهذه العظمة وهذه الهيبة وهذا الاقتدار وهذه الجدارة من الشعب الإيراني، ويرونها، لكنهم يقولون بألسنتهم شيئاً آخر.

لقد تحدثتُ كثيراً عن هذه المفاوضات والقضايا النووية وما إلى ذلك، تحدثنا كثيراً وقلنا ما يجب قوله، ولكن لينتبه الجميع ـ سواء مسؤولو سياستنا الخارجية أو المسؤولون الآخرون على تنوع مجالات عملهم، أو النخبة في المجتمع ـ بأن الشعب إذا لم يتمكن من الدفاع عن هويته وعظمته كما هي أمام الأجانب فسوف يُذلّ حتماً، هذا مما لا ريب فيه. ينبغي معرفة قدر الذات وشخصيتها وهويتها. العدو يهدد، وقبل بضعة أيام أطلق اثنان من الساسة الأمريكان الرسميين تهديدات عسكرية (٧)، ولا شأن لنا بالأفراد الذين ليست لهم

مسؤوليات حساسة ومهمة جداً. إنني لا أدرك ما معنى المفاوضات في ظل شبح التهديد؟ نتفاوض في ظل شبح التهديد! وكأنّ سيفاً مسلطاً على رؤوسنا! ليس الشعب الإيراني من هذا القبيل، فشعب إيران لا يطيق التفاوض في ظل التهديد. لماذا يهددون؟ ولماذا يطلقون هذه السخافات الزائدة؟ يقولون إذا لم يحصل كذا وكذا فمن الممكن أن نهاجم إيران عسكرياً، أولاً سترتكبون بذلك حماقة، وثانياً سبق أن قلتُ في زمن رئيس جمهورية أمريكا السابق ـ وقد هددوا في ذلك الوقت أيضاً ـ إن زمن توجيه الضربات والفرار قد ولّى (٨). ليس الأمر بحيث تتصورون أن باستطاعتكم توجيه ضربة والفرار والإفلات، كلا، سوف تتورطون وتغرق أرجلكم في الوحل ولن نترك الموضوع. ليس الأمر بحيث أن شعب إيران سيترك الذي يريد التطاول عليه، إنما سنلاحقه ولن ندعه لحاله.

ليلتفت الجميع إلى هذا المعنى، وعلى المفاوضين الإيرانيين أن يتنبهوا أيضاً لهذا المعنى، الخطوط الحمراء والأساسية التي طرحت يجب أن تؤخذ من قبلهم بنظر الاعتبار دائماً، وهي مأخوذة من قبلهم بنظر الاعتبار طبعاً، إنهم متفطنون لها إن شاء الله ولن يتجاوزوا هذه الخطوط، ولكن في الوقت نفسه من غير المقبول أن يطلقوا التهديدات دوماً. أيّ تهديد؟ إنكم لا تحتاجون إلى المفاوضات أقل منا، نعم، نحن نرغب في رفع الحظر، ولكن حتى لو لم يرفع الحظر نستطيع إدارة شؤوننا بطرق أخرى، وهذا شيء تم إثباته. ذات يوم طرحتُ هذه القضية (٩) واليوم نجد خبراء الاقتصاد ومختلف المسؤولين والشخصيات المطلعة على الشؤون الاقتصادية يكررون دائماً هذا المعنى لحسن الحظ، ويقولون إن قضايا البلاد الاقتصادية غير مرتهنة لهذا الحظر حتى تنحلّ المشكلات برفع الحظر، لا، المشكلات الاقتصادية ممكنة الحل بإرادتنا ونوايانا وبأيدينا وتدبيرنا، سواء كان هناك حظر أو لم يكن. طبعاً إذا رفع الحظر فسيكون الأمر أسهل، وإذا كان هناك حظر كانت العملية أصعب بمقدار، لكنها ممكنة. هذا هو موقفنا من المفاوضات. لكن الحكومة الأمريكية الحالية لديها حاجة حقيقية لهذه المفاوضات، فالنقطة الأساسية التي يمكنهم تسجيلها في ملفهم هي أننا استطعنا الإتيان بالجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى طاولة المفاوضات وفرض الأمر الفلاني عليها (١٠)، إنهم يحتاجون إلى مثل هذا. إذا لم تكن حاجة الطرف المقابل لهذه المفاوضات أكثر منا ـ وهي أكثر منا بالتأكيد ـ فهي ليست بأقل منا على أدنى تقدير، فلماذا يهددون؟ إنني لا أوافق المفاوضات التي تجري في ظل شبح التهديد. ليذهبوا

ويتحاوروا ويتفاوضوا ويتفقوا، لا إشكال في ذلك ـ طبعاً إذا كانوا يراعون تلك الخطوط الأصلية ـ ولكن لا يتقبلوا الأمور المفروضة بأيّ حال من الأحوال، لا يتقبلوا منطق القوة والإهانة والتهديد.

لقد سقطت سمعتهم في العالم اليوم. لاحظوا هذا التحرك الذي تقوم به الحكومة السعودية في قضية اليمن، إنه تحرك لا يمكن تبريره بأيّ منطق ولا بأيّ لسان. يبعث المرء طائرات إلى بلد آخر والسبب هو: لماذا تقبلون فلاناً للرئاسة ولا تقبلون فلاناً، وإذا بهم يضربون الناس ويقصفون البنى التحتية ويرتكبون الجرائم ويقتلون النساء والأطفال، ويحرقون كل شيء، هذا العمل ليس له أي تبرير. والأمريكان يدعمون هذا التحرك غير المبرر وهذه الجريمة العظمى، فهل تدمير سمعة أكبر من هذا؟ ليس لأمريكا الآن أية سمعة في أنظار شعوب المنطقة، والكل يشاهدون هذا الوضع، ويقولون صراحة إننا ندعمهم (١١) ولا يخجلون، وإذا بهم يقولون لنا لماذا تقدمون المساعدات؟ أردنا تقديم مساعدات دوائية وإرسال أدوية للمرضى، ولم نشأ إرسال سلاح، وهم ليسوا بحاجة لسلاحنا، فكل معسكرات اليمن وجيش اليمن في أيدي الشعب المناضل الثوري وتحت تصرف جماعة أنصار الله، وهم ليسوا بحاجة لأسلحتنا، إنما أردنا إرسال أدوية لهم. لقد جئتم وحاصرتم شعباً في أدويته وفي طعامه وفي وقوده، ثم تقولون يجب أن لا يقدم أحد لهم المساعدة! إنكم لم تسمحوا حتى للهلال الأحمر بتقديم خدماته، وفي الوقت نفسه يقدمون من جهة أخرى المعلومات العسكرية للسعوديين، ويمدّونهم بالسلاح والإمكانيات، ويشجعونهم سياسياً؛ هؤلاء لا سمعة لهم. الطريق الذي اختاره شعب إيران طريق قويم مستقيم حسن العاقبة، وسوف يفضي هذا الطريق إلى نتائجه المرجوّة بتوفيق من الله وعلى رغم أنوف الأعداء، وسيحقق شعب إيران النجاح، وسيرى الأعداء كيف أنهم لم يستطيعوا تحقيق أهدافهم المشؤومة ضد شعب إيران.

رحمة الله على شهدائنا الأبرار الذي ضحّوا بأرواحهم، وعلى إمامنا الخميني الجليل الذي فتح أمامنا هذا الدرب، ورحمة الله عليكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء المؤمنون المتدينون الذين تتواجدون في الساحة بهذه العزيمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١ ـ قبيل كلمة الإمام الخامنئي تحدث في هذا اللقاء السيد علي أصغر فاني وزير التربية والتعليم الإيراني مقدماً تقريراً عن نشاطات وزارته.

٢ ـ إقبال الأعمال، ج: ٢ ، ص: ٦٤٣ .

٣ّ نفس المصدر .

٤ ـ من ذلك كلمته في لقائه حشداً من معلمي شتى أرجاء البلاد بتاريخ: ٠٤/٠٥/٢٠١١م.

٥ ـ سورة آل عمران، شطر من الآية: ١٦٤ .

٦ ـ تبليغ السياسات العامة للتحول في نظام التربية والتعليم الإيراني بتاريخ: ٣٠/٠٤/٢٠١٣م.

٧ ـ إشارة إلى تصريحات جو بايدن نائب رئيس الجمهورية الأمريكي، وجون كري وزير الخارجية الأمريكي بشأن بقاء كل الخيارات إزاء إيران على الطاولة.

٨ ـ كلمته في لقائه مسؤولي الدولة ومدراء البلاد بتاريخ: ٢٢/٠٩/٢٠٠٧م.

٩ ـ من ذلك كلمته في لقائه مسؤولي الدولة ومدراء البلاد بتاريخ: ٠٧/٠٧/٢٠١٤م.

١٠ ـ إشارة إلى تصريحات رئيس جمهورية أمريكا بعد الإعلان عن بيان لوزان.

١١ ـ إشارة إلى بيان وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ: ٢٦ آذار ٢٠١٥م وإعلان دعم الولايات المتحدة الأمريكية لعدوان الحكومة السعودية على بلد اليمن.